الرّوضة العبّاسيّة المطهّرة
تُحفة فنيّة معماريّة تعبق بالطّهر والقداسة

حامل راية الحسين أخوه أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام
أبى الفضل إلا أن تكون له أبا..
هو باب الحوائج، وناصر الملهوف. لأجل الحسين وُلِد، وبين يديه استُشهد ...
مقامُه عَلَمٌ لأهل الحقّ.. وفي حضرته يُستجاب الدّعاء...

قال الإمام السجاد عليه السلام: «...إن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة». هو باب الحسين، كما كان أبوه عليٌّ ابن أبي طالب عليه السلام باب رسول الله صلّى الله عليه وآله في كلّ شيء. ولأجل ذلك، إذا أراد بعضُ كبار مراجعنا أن يزور سيّدالشهداء عليه السلام، يمضي أولاً إلى أبي الفضل العبّاس عليه السلام، فيزوره ويستأذنه لزيارة الإمام الحسين عليه السلام.

تحقيق: أحمد رستم

يقع المقام المقدّس لأبي الفضل العبّاس عليه السلام، في موضع شهادته على مشرعة نهر الفرات، باتّجاه الشّمال الشّرقي للرّوضة الحسينية المطهّرة، وعلى بعد ثلاثمائة متر منها تقريباً.

ويُعتبرُ تاريخ الرّوضة العباسيّة ملازماً لتاريخ بناء الحائر في مختلف العصور. حتى أنّ تخطيطها لا يختلف في الأساس عن تخطيط الرّوضة الحسينيّة إلا في عدد الأروقة التي تطوّق غرفة الضريح الشّريف. ويقع الضريح وسط الرّوضة، ويُحيط به صندوقٌ زجاجيٌّ ثمين، ويُحيط بالصّندوق شبّاك من الفضة

الخالصة ويطلق عليه اسم «الصندوق الخاتميّ».

يروي لنا التاريخ أنّ الدّيالمة (آل بويه) كانوا من أخلص النّاس وأكثرهم ولاءً لآل البيت عليهم السلام، فهُم في عداد المبادرين إلى تخليد ذكرى الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام، لاسيما في عهد السّلطان عضُد الدولة البويهيّ الذي أعلن التشيّع وشيّد عمارة الروضة العباسيّة والقبّة المنوّرة.

وفي عهد الصفويّين، تقدّم العمران في الرّوضة تقدّماً ملموساً، حيث قام الشاه طهماسب الصفويّ سنة 1032 هـ / 1622م بتزيين القبّة السامية بالقاشاني، وبنى شبّاكاً على الصندوق، ونظّم الرّواق والصّحن، وبنى البهوَ أمام الباب الأول للحَرَم، وكساه بالفرش الثمينة المصنوعة في إيران، وفي سنة 1153 هـ أهدى نادر شاه إلى الحَرَم المطهّر تُحفاً كثيرة، وزيّن بعض مبانيه بالقوارير، وفي سنة 1172 هـ زار وزيرُ نادر شاه مدينة كربلاء، فجدّد صندوق القبر، وعمّر الرّواق، وأهدى إلى الصّحن الشريف ثريا يُوضع فيها الشّمع لإنارته.

الطّراز المعماريّ

الروضة العباسيّة المقدّسة مستطيلة الشكل، تبلغ مساحتها أكثر من أحد عشر ألف متر مربّع، وأبعادها (117.5م×95م). يحيط بها من الخارج سورٌ بارتفاع 11 م، مشيّد من الخارج بالطابوق، وبشكل أقواس داخليّة وخارجيّة مغلّفة بالطّابوق الفرشي والآجر الفخاريّ، ومطعّم بالكاشيّ الكربلائيّ المُزخرف، وحسب النّقشات المصمّمة على الطراز الإسلاميّ، وفي أعلى السّور كتيبة من الكاشيّ الكربلائيّ مخطوطٌ عليها آيات قرآنية.

الجهة الجنوبية

يقع المدخل الرئيسيّ للرّوضة المباركة في الجزء الجنوبيّ من الحرم الشّريف، ويحتوي على سبعة أواوين صغيرة (والإيوان هو الجزء الواقع أمام الحجرة ويكون مسقّفاً بالطراز الإسلاميّ) مغلّفة بالكاشيّ الكربلائيّ على شكل نصف قبّة منقوشة بالزّخارف والمقرنصات على الطراز المسمّى بـ «الرسمي». وتُفضي هذه الأواوين إلى ديوان الضيافة والإدارة الحاليّة، وبعض الغرف المشغولة للأعمال الإداريّة، وقاعة المتحف المقترَحة، وهي تُشرف على باب القبلة، وباب الأمير، وباب الإمام الحسن عليه السلام.

الجهة الشرقية

تحتوي هذه الجهة على خمسة عشر إيواناً من الأواوين الصغيرة، وبالمواصفات المذكورة في الجزء الجنوبيّ، وهي تفضي إلى غرف يشغلها القائمون بخدمة الروضة والزّائرين، كما تُفضي

مقام كف العباس عليه السلام

إلى مقرّات اللّجان، وتُطلّ على باب الفرات وباب الإمام علي الهادي عليه السلام.

الجهة الشماليّة

فيها خمسة عشر إيواناً، تُفضي إلى غرف خاصّة بأعمال الحَرَم، وفي هذا الجزء باب الإمامين؛ محمد الجواد وموسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام.

الجهة الغربيّة

تُشرف هذه الجهة على بابين رئيسين؛ هما باب الإمام صاحب الزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وباب الإمام الحسين عليه السلام. وتمتاز بأنها مواجهة للرّوضة الحسينيّة المقدّسة، فمنها يدخل الآتي من الرّوضة الحسينيّة ومنها يخرج قاصدها. والرّوضة الشريفة من طابقين؛ الأوّل مرّ وصفه، والثّاني، يضمّ مدرسة «دار العلم» التي افتُتحت حديثاً عند استلام المرجعيّة المباركة إدارة العتبات المقدّسة، ويضمّ المكتبة ومقرّ اللجنة الإعلاميّة وقاعات كبيرة للتّخزين.

الأبواب

للرّوضة العبّاسيّة المطهّرة تسعة أبواب موزّعة على جميع الإتّجاهات، ولكلّ باب تسميةٌ خاصّة، وهي كالآتي:

1- باب القبلة

المدخل الرئيس ويقع في الجهة الجنوبيّة من الروضة. يبدو من الخارج مثل قوس إسلاميّ بديع، وفي أعلاه كتيبة نُقشت عليها آية: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: 23.

وارتفاع الباب ستة أمتار تقريباً، وعرضه ثلاثة أمتار، وهو مصنوع من الصّاج البورميّ ذي الجودة العالية، والمطعّم

حشود المعزّين بين الحرمين

بخشب البلوط، ونُقشت عليه زخارف إسلاميّة بحفر يدويّ هو آية في الجمال.

ويؤدّي هذا الباب إلى مدخل على شكل رواق طولُه عشرون متراً، وسقفه مغطّى بالنقوشِ المغربيّة الإسلاميّة على شكل ثلاث قباب وثلاثة أقواس.

وفي الجهة اليمنى من الرّواق، بابٌ خشبيٌّ من الصّاج يُفضي إلى قاعة المكتبة القديمة، التي أغلقها النّظام الإجراميّ البائد، واتّخذها مقرّاً للأجهزة الأمنيّة ومركزاً للإعدامات خلال الإنتفاضة الشعبانيّة المباركة عام 1991.

وثمّة باب ثانٍ في هذا الرّواق، تعلوه ساعة أثريّة كبيرة، تعطّلت إبان الإعتداء الذي تعرّضت له المراقد المقدّسة في المدينة من قبل أزلام البعث الصدّاميّ خلال الإنتفاضة الشعبانية.

2- باب الأمير عليه السلام

يقع هذا الباب في الجهة الشرقيّة من الحَرَم. يُعرف حاليّاً بباب الكفّ كونه يقع قبالة مقام الكفّ الأيسر لأبي الفضل عليه السلام. ويبلغ ارتفاع الباب أربعة أمتار، وعرضه ثلاثة أمتار، وطول مدخله سبعة أمتار. أمّا سقف المدخل فمغطّى بالكاشيّ الكربلائيّ على شكل أقواس وقِباب إسلاميّة، وفيه بعض المقرنصات.

3- باب الفرات

يقع في الجهة الشرقية أيضاً، ويُعرف بباب العلقميّ لكونه مقابلاً لنهر العلقميّ المنطمر. تعلوه كتيبة من الكاشيّ الكربلائيّ، منقوشةٌ عليها بالخطّ الكوفيّ سورة الإنشراح. وهو يمتاز بكونه أعرض أبواب الحَرَم الشّريف.

4- باب الإمام علي الهادي عليه السلام

يقع هذه الباب في الشمال الشرقيّ من الصّحن الشريف. وهو يؤدّي إلى الباب الموصل إلى سطح الروضة الأوّل، ويُعدّ من الأبواب الحديثة كونه افتُتح عام 1974.

5- باب الإمام محمد الجواد عليه السلام

يقع في الجهة الشماليّة من الصّحن العبّاسيّ الشريف، وفي أعلاه زخارف وكتيبة من الكاشيّ منقوشةٌ عليها سورة القدر وآية (الله نور السماوات والأرض).

6- باب الامام موسى بن جعفر عليه السلام

يقع هذا الباب في الزاوية الغربية من الصّحن الشريف، ويُفضي إلى مدخلٍ زُيّن سقفُه بالكاشيّ الكربلائيّ على شكل أربع قباب صغيرة.

7- باب الإمام صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف

يقع هذا الباب في الجهة الغربيّة من الصحن العبّاسي مع بابي الإمامين الحسنين عليهما السلام، وهي جميعاً مواجهة لحَرَم سيّدالشهداء عليه السلام. هذا الباب مصنوعٌ من الصاج البورميّ المغلّف بالزّجاج، وفيه نقوش مزخرفة، ويبلغ ارتفاعه خمسة أمتار وعرضه نحواً من أربعة أمتار، وفي أعلى الباب من الخارج لوحةٌ من الكاشيّ كُتب عليها: «باب الإمام صاحب الزّمان»، ويعلو الباب قوسٌ إسلاميّ منقوشٌ عليه نصفَ تاج بالطّابوق الفرشي الآجر. يبلغ طول مدخله تسعة أمتار، وفيه نقوش إسلاميّة في غاية الرّوعة، على شكل قباب مطعّمة بالكاشيّ الكربلائيّ.

8- باب الإمام الحسين عليه السلام

يقع هذا الباب في الغرب، حيث يتّجه الزّائر قاصداً سيّد الشهداء عليه السلام. وهو مزيّنٌ من الخارج بالمقرنصات، ومن الدّاخل سقفُه منقوشٌ بالزّخرفة الإسلامية على شكل قبّة من الطابوق الأبيض المطعّم بالكاشيّ الكربلائيّ.

9- باب الإمام الحسن عليه السلام

وهذا الباب مجاور لباب الامام الحسين عليه السلام، ارتفاعه أربعة أمتار، وعرضه ثلاثة أمتار، وسقفه من الداخل منقوش بالطابوق الأبيض، والزّخارف الإسلامية، وجدران المدخل مغلّفة بالمرمر.

العلقميّ....
حكاية النّهر... والسقّاء

عبد الستار البيضاني

على مدى يومين منحهما لنا من وقته سادن الروضة العباسيّة مع سادن الروضة الحسينيّة، حاولنا الخروج بإجابات عن عشرات الأسئلة.. بدأنا البحث عن نهر العلقميّ، هل هو فعلاً يجري تحت الحضرة المقدّسة؟.. ومن خلال اطّلاعنا على بعض الكتب في مكتبة الحضرتين وجدنا أنّ الإمام الحسين عليه السلام اختار مكان معركة «الطّف» وفق رؤية عسكرية مسبقة، حيث نصب مخّيماته بين مجموعة من التلال محاطة بقرى الفاخرية والنواويس ونينوى وكور بابل التي ترجع إليها تسمية كربلاء.. وإلى الخلف بعيداً عن «التّل الزينبيّ» هناك هور يشكل حماية طبيعيّة خلفيّة لمعسكره عليه السلام، وفي الأمام يقع نهر العلقميّ الذي هو فرع من نهر الفرات القديم، وقد اندثر منذ قرون، ويبعد مكانه عن مرقد العباس عليه السلام بمسافة «150 ـ 200 م»، قريباً من مقام سقوط الكفّ الأيسر.. حيث تدلّ هذه الأمكنة على مسار حركته عليه السلام عندما أخذ الماء من النهر، ومن ثمّ قُطعت يده اليمنى، وبعد ذلك قُطعت اليسرى بمسافة، قبل أن يسقط صريعاً في موضعه الحالي..

عند الزاوية الشماليّة الغربية من الحضرة في مصلّى النساء، فُتح لنا بابٌ فضيٌّ عملاق يُفضي إلى غرفة مربّعة الشّكل. بدا زميلي الصحفيّ متهيّباً الدّخول، لكنّ السيّد زكي الذي أُوكلت إليه مهمة مرافقتنا وتأدية طقوس الزيارة، نادانا قائلاً: «توكّلوا على الله»، وفتح أقفالاً في الأرض ورفع شباكاً حديدياً يُغلق مدخل السّرداب..

من الخارج شاهدت الماء الذي كان حكاية الحكايات بالنسبة إلى الكثير من الناس.. هبطنا ثمان درجات من المرمر الأبيض المزخرف بخطوط سود، ومع كلّ درجة هبطناها كان الماء يغمر ساقي حتى بلغ فوق ركبتيّ، عندها وجدتني في دهليز يبلغ ارتفاعه نحو مترين وعرضه أكثر من متر يمتد أمامي بعمق متساوٍ لكنه ينحني مشكّلاً دائرة شبه مضلّعة، مضاءة بمصابيح كهربائية اعتياديّة.. كانت المياه صافية مثل الزّلال بحيث كنت أرى من خلالها تفاصيل خطوط أظافر قدميّ، بالرغم من طبقة الغبار الخفيف المتسلل من فتحات جانبية

جانب من النهر الجاري تحت الروضة العباسيّة

تشكّل نهايتي دهليزين جانبيّين ينفتحان خارج مبنى الروضة للتهوية ولكن بمسافة بعيدة عن الدهليز الدائريّ..

أول شيء فعلته هو أنني شربت الماء لأتذوّق طعمه، فكان عذباً ونقيّاً وليس مجّاً او مالحاً كما هو شأن المياه الجوفيّة، وعلمت أنه محافظٌ على مستواه حتى وإن تغيّرت مناسيب المياه الجوفية في أراضي كربلاء..

في أثناء تقدّمنا لم يتغيّر صفاء الماء بالرغم من أنّ السيد زكي قد سبقني مؤدّياً طقوس الزيارة، وتأمّلتُ سقف الدّهليز الذي يشكّل أرضيّة الحَضرة المطهّرة في الأعلى، فوجدته مبنيّاً من الإسمنت، والجانب الخارجي مبنيّ بالطابوق الحديث، أما الداخلي الذي يشكّل غلافاً للكتلة الدائريّة التي يستدير عليها الدهليز فأغلبه مبنيّ بالطابوق الفرشي القديم، والذي

ضريح العباس عليه السلام

يعود إلى عصور ماضية متعددة حسب فترات الترميم، بعضه مبنيّ بالإسمنت، والبعض الآخر بالنورة والرماد حيث لم يكن يوجد اسمنت آنذاك..

الكتلة الدائرية التي يستدير عليها الدهليز تكاد تكون بقدر مساحة الحَضرة، حيث يقوم في الأعلى الصندوق أو الخاتم المصنوع من الصاج الفاخر والمطعّم بالأصداف والزخارف النادرة، وعليه الشبّاك الفضيّ المغطّى بالذهب الخالص المزيّن بالآيات القرآنية والزخارف الفنيّة. أما الدّهليز الذي نمشي فيه فيكاد يكون تحت رواق الطواف على الشباك تماماً.

بعد خطوات ينفتح في الكتلة الدائريّة دهليز آخر أضيق قليلاً، ويشكّل قطراً لهذه الكتلة، وفي منتصفه ينهمر ضوءٍ ساطع على فراغ حيث يقوم الضريح المطهّر الشريف مغموراً بالضوء بشكله المربّع الذي تُقدّر مساحته بحدود «3 X 3 م». هنا وجدت رأسي يمتد وينتصب محشوراً في المنتصف، يتملّى القمرَ الهاشميّ المضمّخ بدماء الشهادة والثبات بلا ذراعين، وتحوم حوله تلك الهالة العظيمة التي صنعها شرف النسب والمواقف والموت التراجيدي للبطل.

في هذه اللحظة اختلطت عليّ الوقائع والمخيّلة، وتذكرت كلّ ما قيل عن العباس عليه السلام فلم أستغرب شيئاً ممّا يتداوله الناس بشأن هذا الوليّ الصالح، لا سيّما أنّ الرّوايات التّاريخية تؤكّد أنه عندما صال أبو الفضل العبّاس على الظالمين الذين يحولون بين آل الرسول صلّى الله عليه وآله والماء، انشقّت أمامه الجيوش، وانكشفت المَشرَعة بعدما ذُهل المارقون من صولة «قمر بني هاشم»، اللقبِ الذي مُنحه لبهاء طلعته وجمال وجهه، إضافة الى طول قامته، حيث يُروى أنّه عليه السلام كان إذا ركب الفرس خطّت قدماه في الأرض.

إزاء هذا الخاطر، وجدت أنّ الإسمنت يحول بيني وبين هالات من النّور والتّقوى، وهي بعض أسرار قداسة أرضنا..

سألني زميلي: هل تشمّ هذه الرائحة الطيّبة؟ فلم أجبه.

فأنا واقف الآن تماماً حيث جلس الحسين عليه السلام، يتفقّد جراح أخيه، ومشغولٌ بتحديد الإتجاه الذي ركض فيه سيد الشهداء بعد مصرع أخيه وحامل لوائه.. تنحّيت عن مكاني، ومن ثمّ دسستُ رأسي وكأني أحاول تحديد المكان الذي جلس فيه الإمام الحسين ووضع رأس أخيه في حِجره .. من كان يشكو لمن؟ العبّاس الصّريع أم الحسين الوحيد؟.. كأني أسمع حوارهما، غير آبهَين بقعقعة السيوف وتصرّفات الخبثاء.. إنّه المكان نفسه ولم يتغيّر، وهذا ما أشعل مخيّلتي... فجثمان العباس عليه السلام الوحيد من بين شهداء الطّف لم ينقل من مكانه بل دُفن في مصرعه.. الدّم يتوهّج وأُرهف السّمع لحوارهما.. لكنّ صوت الحوراء زينب جاء مشروخاً مرعوباً وهي تنادي من على التّل الذي سمّي في ما بعد «التّل الزينبيّ»، فجيوش ابن سعد أضرمت النّيران في خيم النسوة والأطفال.. ياه.. ما أشدّها من محنة من مِحن سيد الشهداء في ذلك اليوم.. فما بين الحوار الأخير مع حامل لوائه الذي يجود بروحه، وما بين استغاثات النّسوة واليتامى من رعب النار التي التهمت أطراف أثوابهم.. وجد سيد الشهداء نفسه حائراً.. لم أسمع ولم أقرأ كلمات الوداع الاخير.. فقد نهض شاهراً سيفه ليذود عن حُرَمِ رسول الله.

استدرت في الدهليز، اجتزت النصف الأيسر من الكتلة الدائريّة، وتوقّفت عند الطرف الآخر من الدهليز الوسطيّ الذي يشكّل قطر الدائرة فأشرفتُ مرّة اخرى على الضريح.. المياه لا تغمره إلا إلى نصفه، وثمة فراغ بينه وبين الكتلة الدائرية.. يلوح من تحت الماء فيها الكاشيّ الكربلائيّ الذي كُسيت فيه الأرضيّة المحيطة بالضريح وكأنها وضعت فاصلة بينه وبين من يريد الاقتراب منه.

ألاحظ قشرة الإسمنت التي تغطي الضريح، فتُغريني بالتحديق وكأنها ستقودني إلى رؤية ما في داخله.. ذراعان مفتولتان مبتورتان من السّاعد.. قِربةٌ مزّقتها السّهام.. حياءُ العين التي نبت فيها السهم الطائشي... حياؤها من الأطفال إذ تقل الحيلة وتعزّ الوسيلة، ونداءُ العطش يُطبق على الآفاق.. فأين كانت هذه المياه من تلك اللحظات التي أشعلها العطش؟؟

أسحب رأسي وأستدير على النصف الأيمن من الكتلة الدائريّة، فأرى دهليزاً ثالثاً يقود إلى منتصف الدائرة «الضريح»، لكنّه متعرّجٌ وأضيق من أن أدخله، ومن الواضح أنه يعود إلى عصور تاريخية ليست قريبة.. أتركه لأجد نفسي عند نقطة الإنطلاق حيث تنتهي الدائرة، فأصعد السلّم المرمريّ حاملاً معي إجابات عن الكثير من الأسئلة التي بدت لي غامضة قبل نزولي السرداب.

نقلاً عن جريدة «الصباح» العراقيّة